جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

بحث بعنوان

تقدير ثنائية الزوال و الديمومة كسمة من سمات الفن عبر التاريخ

Appreciation of the Dualism of Evanescence and Permanence as a feature of the art features throughout history

إعداد

سمر يسري محمد فرماوي

الدارسه بقسم النقد والتذوق الفنى

مرحلة الدكتوراه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

تناولت البنيوية كمنهج فكري نقدي الظواهر– إنسانية كانت أم أدبية – كبنية لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها ، و قامت البنيوية عند " سوسير " على الثنائيات اللغوية المتقابلة ، فالثنائيات هي احد أنواع العلاقات بين بنى العمل الفني التي يمكن تفسير النص من خلالها كوحدة وظيفية أساسية.

و يري " سوسير " أن " التضاد الثنائي "Binaty oppositions هو " المصدر للمعنى الذي يمنح الدليل معناه (إذ يحدد معنى كلمة غائبة معنى كلمة حاضرة في النص تكون مضادة لها)، ولكن الكلمة تكتسب معناها الغامض والمتخفي عن طريق لعب المدلولات ، وحين يتمّ تحديد معنى ما أو تثبيته، فهذا يتم بصفة مؤقتة فقط إلى أن يفككه قارئ أو مفسّر آخر، فالمعنى لا يمكن تثبيته بسهولة وليس حاضراً أبداً وإنما هو مبعثر ومنتشر على طول سلسلة الدوال، وهو نوع من الترجرج المتواصل بين الحضور والغياب معاً " [١] .

وترى الدراسة الحالية أن ثنائية الزوال و الديمومة هي ثنائية شائعة في الأعمال الفنية ، حيث " يقضي التفكير الجدلي بان المتناقضات التي تؤثر في بعضها تكون في دائرة واحدة وبان المتناقضات تكون في وحدة واحدة " [٢] ، و ثنائية الزوال و الديمومة احدي الثنائيات التي يمكن أن تكون سمة من سمات الفن عبر التاريخ ، فالفنون عبر التاريخ تتناول تلك الثنائية و أن سيطر أحد شقيها ظاهريا على العمل الفني ، فلا يمكن أن ننحي الشق الأخر ، فهو له الدور الخفي الذي يؤكد بأختفاءه على ظهور الشق الأخر ، و " يتميز كل عصر فني بسيادة علاقات و قيم من نوع معين ، فعندما نفكر في العصور الوسطى يخطر ببالنا الدين ، فلم يكن الفنان يضفي قيمة عليا على الحياة الدنيا ، كما تغلغلت فكرة البعث كقيمة عليا في العصور الفرعونية ، أما التكنولوجيا و الميكنة و الاغتراب فقد ظهر أثرها في "الدادائية " و " التكعيبية " " [٣] ، و ثنائية الزوال و الديمومة تدعم تلك القيم بأشكال متعددة و تزيل نقائضها تبعا لفلسفة كل مرحلة فنية ، لتحقق معيارا جماليا مثاليا خاص بها .

---

[١] نهلة فيصل الأحمد - جريدة الرياض – العدد ١٢٩٩١ – ٢٠٠٤/١/١٥ – السعودية http://www.alriyadh.com/

[2] http://ar.wikipedia.org/

[٣] محسن محمد عطية – القيم الجمالية في الفنون التشكيلية – دار الفكر العربي – ٢٠١٠ – مصر – ص . ١٦- ١٧

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وعلى ذلك تتحدد مشكلة البحث فى التساؤل التالي :

١. كيف يمكن تقدير ثنائية الزوال و الديمومة كسمة من سمات الفن عبر التاريخ ؟

أهداف البحث :

١. التعرف على مفهوم ثنائية الزوال و الديمومة و تطبيقاته .

٢. التقدير الجمالي لثنائية الزوال و الديمومة عبر تاريخ الفن .

أهمية البحث :

١. يشكل هذا البحث الاستفادة من مفهوم الزوال و الديمومة في الفن التشكيلي عبر تاريخ الفن .

٢. التفسيرات الدلالية القائمة على ثنائية الزوال و الديمومة تقدم تفسيرات جديدة عبر التاريخ .

مصطلحات البحث :

- **الزوال :**

يعرف الزوال اصطلاحيا بأنه (التحول أو الانتقال أو الفناء) و يعني الوجود لفترة وجيزة أو عدم القدرة علي البقاء ، و في القاموس اليوناني فأن الزائل هو " الذي يستمر ليوم واحد فقط " [١] ، و هو وصف للشئ المتغير العابر ، و " عادة ما يستخدم لوصف الظواهر و الأشياء الموجودة في الطبيعة ، على الرغم من أنها صفة تميز العديد من الأشياء مثل الآثار التي يتركها البشر بغرض أن تدوم لفترة قصيرة ، من أجل زيادة القيم الجمالية المدركة " [٢] ، فقد يعطي الفنان لمحة قصيرة عن ذكري أو شعور ما في عرض أو عمل فني يعرض لفترة قصيرة جدا و ذلك بهدف أثارة شعور ما في لحظة معينة وليس بهدف بقاء العمل الفني ، " فقد لوحظ أن الزوال هو القيمة الناتجة

---

[1] Ephemeros, Henry George Liddell, Robert Scott, "A Greek-English Lexicon", at Perseus … http://www.perseus.tufts.edu

[2] https://en.wikipedia.org

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

عن المد و الجزر في كثافة الحشد على أداء ما ، و انعكاس للحنين الشخصي لعروض معينة " [1] ، فالحنين هنا هو القيمة الجمالية وراء العمل الفني و الزوال هو وسيلة استثارة تلك القيمة ، و زيادة الحشد هو معيار أدراك تلك القيمة ، و ذلك لأن البشر يدركون مرور الوقت بشكل مختلف ، و مفهوم الزوال نسبي .

بالتالي فأن " الفن الزائل " يعرف بأنه الفن الذي يبقي لفترة قصيرة من الزمن ، و " يأتي العمل الفني الزائل في عدة صيغ ، بداية من النحت و حتى الأداء الحركي ، و لكن المصطلح يستخدم عادة للأعمال التي تتواجد لمرة واحدة كأنها مصادفة ، و لا يمكن تتجسد في شكل دائم لتوضع بقاعة عرض أو متحف " [2] .

- **الديمومة :**

تعرف الديمومة اصطلاحيا بأنها (البقاء و الاستمرار) ، فصفة الدائم تطلق علي الأشياء التي تحتفظ بحالتها و وجودها لفترة طويلة دون تغيير أو فساد .

و بالتالي يمكن تعريف مفهوم ديمومة العمل الفني بأنه العمل الذي يبقي لسنوات و يمكن الحفاظ على حالته الأولية و تخزينه ، و تنقسم الأعمال الفنية في أطار الارتباط بمفهوم الديمومة إلى :

اللوحة الكلاسيكية : وهي وسيلة يمكن حفظها في المتاحف, حتى تتناقل عبر الأجيال. وقد طور المختصون مواد إنجازها وحفظها حتى تستمر أكثر فأكثر عبر الأزمنة.

المنحوتة الكلاسيكية : و لها نفس الصفة أيضا, وهي وسيلة فنية يستمر بقاؤها داخل المتاحف وخارجه و استخدم النحاتون خامات مختلفة تصمد أمام تأثيرات الزمن مثل: الحجر الرخام والجرانيت والبرونز ، و يذهب البعض إلى مراعاة سلامة المنحوتات من الكسر, عن طريق تحاشي الفراغات مثل النحت المصري القديم, بعض أعمال برانكوزي, بعض المنحوتات التكعيبية ، و كذلك إنجاز أعمال ضخمة

---

[1] Will Straw, Alexandra Boutros, Circulation and the City: Essays on Urban Culture (2010), p. 148.

[2] http://www.tate.org.uk

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وتقيلة راسية هو ضرب من ضروب الإصرار على البقاء ، فمفهوم المتحف يرتبط بحفظ الأعمال الفنية وتخليدها .

- **مفهوم الزوال و الديمومة عبر تاريخ الفن :**

تعددت مفاهيم الزوال و الديمومة عبر تاريخ الفن ، و أن لم يظهر المصطلح أو يعرف بشكل ظاهر إلا أن الفلسفة الخاصة بكل مرحلة و منطلقاتها الفكرية و العقائدية تضمنت مفهوما لتلك الثنائية ، فترى الدراسة الحالية ارتباطا و علاقة متبادلة بين "الزوال " و " الديمومة " تنعكس علي فلسفة العمل الفني و بالتالي تقديرنا الجمالي لتلك الأعمال الفنية عبر التاريخ ، و هو ما يجب دراسته كثنائية بنيوية يتكون منها العمل الفني ، و التي قد يسيطر أحد شقيها على الحالة الفنية إلا أن الشق الأخر يظل موجودا بشكل أو بأخر ليدعم وجود الشق المسيطر ، لذا ستقوم الباحثة باستعراض المنطلقات و الفلسفات الخاصة ببعض مراحل تاريخ الفن للوصول لشكل صياغة ثنائية الزوال و الديمومة في الأعمال الفنية لكل منها ، لاستخلاص مفهوم شامل و عام لثنائية الزوال و الديمومة .

١.الخلود ومفهوم الديمومة في الفن المصري القديم :

أعتقد المصريون القدماء بفكرة البعث بعد الممات ، و إن هناك حياة أخرى بعد الموت .. حياة الخلود الأبدي ورغم هذه العقيدة التي سادت تلك الفترة والتي وجهت الفنان الي التاكيد علي قيم الديمومة في منتجاته الفنية الرسمية الا اننا لا نستبعد الزوال في الفن فنجد ان الفنان المصري القديم استخدم كلا من مفهومين معا ، " فالزوال " جسده الفنان عن قصد في الأعمال الفنية الخاصة بالحياة اليومية لعامة الشعب مثل المنازل و العمارة الدنيوية فهما من الزوائل سواء في الاساليب الفنية ذاتها فلا تنطبق عليهما معايير الفن الرسمي الذي أعلي من قيمة " الديمومة " التي تتناسب مع عقيدة البعث والخلود التي آمن بها ، و التي أنعكست علي ديمومة المنتج الفني العقائدي من معابد و مقابر و تماثيل الشخصيات المقدسة والتيي سوف تبعث في الحياة الأبدية بعد الموت ، ، وما تبع ذلك من مجالات فن تنتج في خدمة العقيدة ، فقد عبر الفن المصري القديم عن تلك العقيدة في كل مجالاته – النحت و العمارة و النقش البارز – " وكانت وظيفة الفن في المجتمع المصري القديم هي تذكير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناس بأن العالم الأخر أكثر وجودا من العالم الآني ، وكان الموت في عقيدة المصريين القدماء بمثابة الليلة السابقة للعبور من عالم الحياة المؤقتة إلى الحياة الأبدية " [1] ، ومن هذه المنطلقات التي شكلت جوهر الديانة المصرية كان البحث عن سر الخلود شغل المصريين الشاغل ، ليس فقط خلود ال (با) الروح ولكن أيضا خلود ال (كا) الجسد وفي ظل هذا السعي الدؤوب للحفاظ على الجسد برع المصريون في حفظ جثث الموتى عن طريق تحنيطها، ووضعها فى قبور حصينة (مما دفعهم إلى بناء الأهرامات الضخمة) ، فالديمومة لديه تمثلت في الدوام المادي بينما لم يلتفت الفنان المصري القديم أنه لن يستطيع أن يتغلب على زوال القيمة الدينية و الفلسفية ، فالخلود كقيمة فلسفية خاصة بالفن المصري القديم هي قيمة زائلة ، لذا لا يمكننا ان نؤكد ان الفن المصري القديم هو فن الديمومة المطلقة ، فالديمومة كانت في الوجود المادي والجمالي الذي نجح الفنان بكل الأساليب في الحفاظ عليه لآلاف السنين فقط ،أما من ناحية دوام العقيدة فهي قد تحملت صفة الزوال فمع مرور الزمان وتغير الفكر العقائدي وما آمن به الانسان المصري وعبادة الله الواحد الاحد زالت القيمة الفلسفية وراء العمل واصبح بقائها دالا فقط علي فكر عقائدي كان سببا في منتج فني ذا صفات جمالية وخصائص فنية لها صفة الدوام، فلم يتبقي للمتلقي بعد كل هذه السنوات إلا تقدير الشكل الجمالي لتلك الموجودات عالية الجودة و الحرفية ، و التي لم تستطيع أن تحافظ على قيم عقائدية زائلة بتغير الفكر العقائدي للمجتمع المصري ، و هو ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح " زوال القيمة " فمع اختلاف تقدير مفهوم الخلود ، يبقى تقدير مهارة الفنان المصري القديم. رغم أن المظهر العام للفن الفرعوني يتجه لأن يطلق عليه فن الديمومة ، إلا أن الدائم هو الوجود المادي الذي نجح الفنان بكل الأساليب في الحفاظ عليه لآلاف السنين فقط ، لكن القيمة الدينية و الفلسفية وراء العمل زالت تماما ، و لم يتبقي للمتلقي بعد كل هذه السنوات إلا تقدير الشكل الجمالي لتلك الموجودات عالية الجودة و الحرفية ، فالفنان المصري القديم وضع قواعد خاصة به لإنتاج أعمالا فنيه تنشد الخلود و الديمومة ، فجعل منحوتاته – التي تدفن مع الميت كنموذج تعود إليه الحياة بعد البعث – محدودة الحركة و أوجد

[1] محسن محمد عطية – الفنون والإنسان – دار الفكر العربي – ٢٠٠٣ – مصر – ص . ٤٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حلولا تشكيلية لمعالجة الفراغات و تدعيم المناطق الضعيفة في أي تمثال كالرقبة ، بحيث تخلو منحوتاته من الفراغات التي تضعف بناء العمل و تجعله عرضه لعوامل التعرية و النحر و بالتالي التكسر و الفناء و عدم تمكن الروح من التعرف علي هيئة صاحب التمثال ، ولم يعطي لوجوهها أي تعبيرات انفعاليه زائلة ، كما أستخدم أكثر الأحجار صلابة كالجرانيت و البازلت ليخلد أعماله ، أما نقوشه البارزة على جدران المعابد و المقابر فنفذها بتكنيك فريد فهي رقيقة دون ارتفاعات عالية و غائرة عن السطح ليحميها من عوامل التعرية ، كل تلك المجهودات التي بذلها كانت في سبيل الحفاظ على الوجود المادي .

و هذا ما يظهر في تكوين معبد الأقصر– شكل (١) – كنموذج للمعابد الشامخة حتى وقتنا هذا بعد مرور ألاف الأعوام ، بسبب بناءه بالأحجار الأكثر صلابة ، و تقنية نحت تماثيله العملاقة التي حافظت عليه من عوامل التعرية ، فهو معبد " أمون و زوجته و أبنه " الذي يحوي تماثيلهم التي ستعود إليها أرواحهم بعد البعث ليحيوا حياة الخلود الدائمة .

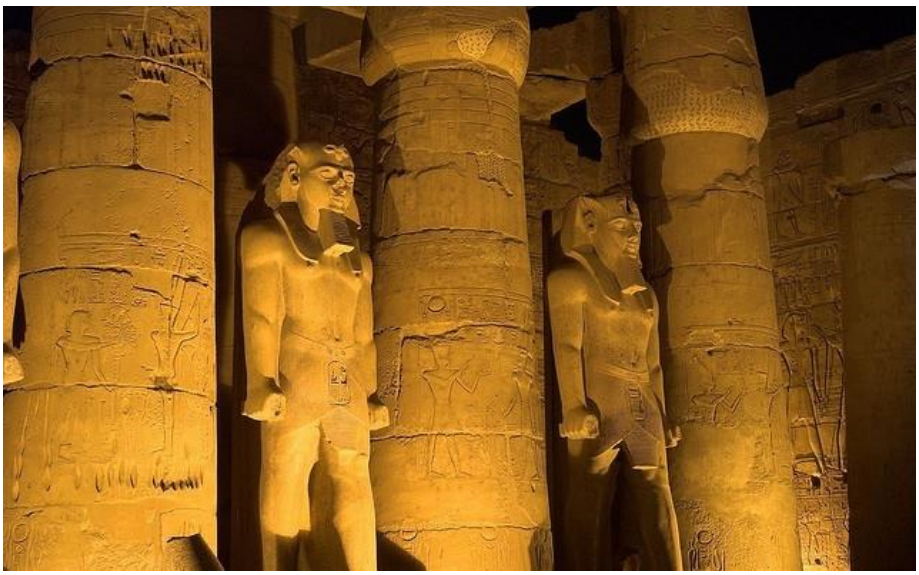

شكل (١)

معبد الأقصر– الدولة الحديثة – ١٤٠٠ ق. م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٢. الجمال الإنساني والزوال في الفن الإغريقي :

مجد الأغريق الانسان علي انه محور الكون واخذ من الشكل الانساني قوانين الفن حتى انهم صوروا آلهتهم بهيئة انسانية لاعتقادهم بأن الآلهة لها صور آدمية و أن آلهتهم تختص بعواطف كالعواطف الإنسانية فهي تخزن وتفرح وتتألم ، فأهتم بجمال و مثالية الجسد و حيوية حركته ليظهرها في أروع أشكالها ، مما دعى الفنان الإغريقي الي الاهتمام بدراسة الجسم الانساني مستعينا بعلم التشريح مستكشفا القوانين الجمالية مثل قوانين الاتزان والنسبه وأجاد تطويع الحركة و التعبير عن العواطف من خلال قسمات الوجه ، فأعلاء قيمة الإنسان هو القيمة آمن بها الاغريق في ابداعاتهم وعمل علي تحقيق ديمومة القيمة الانسانية التي حققها الفنان الإغريقي في جميع اعمالة سواء في تلك التي تصور الالهه او الحياتية سواء في العمارة او النحت ام في شتى مجالات الفن التطبيقية من خلال دراسه علمية عقلية لاكتشاف القوانين كتمثال فينوس آلهة الحب و الجمال – شكل (٢) – والذي يظهر عناية فائقة بالتشريح الجسدي ونحت ثنايا الملابس و الحرص على أظهار مثالية الجسد ، و إن كان قد فقد أجزاء منه بعد مرور سنوات بسبب استخدام أحجار ضعيفة كالرخام و عدم اختيار وضعيات جسدية متماسكة الكتلة ، فحركة الذراعان بعيدا عن الجسد جعلها كتلة ضعيفة سهلة الكسر . فبينما اهتم الفنان الأغريقي بديمومة العمل و بقاءه وكان ما يهمه هو تجسيد المثالية بالمفهوم الدنيوي ، فكانت أعماله زائلة الوجود المادي و أن تركت في الأذهان صور واضحة للآلهة التي يعبدونها في ذلك الوقت ، " فلم يعد في الثقافة الإغريقية وجود للإلهي كفكرة متجاوزة للقدرة البشرية ، ولكنه يعيش متجسدا داخل الكون ، ومن هنا تطورت طريقة تفكير الإنسان في اتجاه المذهب العلمي أو الحركة الإنسانية " ١ و التي أضافت اتجاها جديدا للتفكير الفلسفي لسنوات عديدة تالية .

---

1 محسن محمد عطية – القيم الجمالية في الفنون التشكيلية – دار الفكر العربي – ٢٠١٠ – مصر – ص .٤٤

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

شكل (٢)

فينوس – متحف اللوفر – باريس – ١٠٠ ق.م

٣. مخاطبة العقل مصدر الدوام في فنون عصر النهضة :

تتفق الدراسات التي تناولت المرحلة التاريخية الأولى من عصر النهضة وما يطلق عليها "المرحلة الانتقالية" على أن العنصر الرئيسي لهذا العصر بكل معطياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هو الفردية أو الإقرار باهتمامات الشخصية الإنسانية وحقوقها كموقف نقيض للكنيسة التي ألغت هذا الحق وصادرته طوال أكثر من ألف عام ، وتلك كانت الخطوة التي أهلت الفنان بأن يقوم بدور كبير ومتميز تقع على كاهله مسئوليات جديدة في الحياة الاجتماعية ، ويعامل من خلال دوره هذا على أنه مساهم مرموق في عملية التطور والبناء التي شاعت أنداك" ، فناشد الفنان مفهوم الديمومة في أعماله الفنية من خلال : مخاطبة عقل المتلقي على مر السنين و دعوته للتأمل و التفكير ، و استحداث استخدام

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الألوان الزيتية ليحافظ على لوحاته لفترات أطول ، و أبدع أعمالا متحفية ذات بناء هندسي قوي و مدروس..

وقد وصف عصر النهضة بعصر النظام في الفكر ويتميز هذا العصر بالعودة إلى الحياة ، والعلم ، واكتشاف الكون ، والإنسان والتطلع إلى أسرار الطبيعة ، حيث ابتعدت عن الاستغراق في الرموز الكهنوتية والأشكال التجريدية ، واخذ يقترب من الطابع الدنيوي الحسي ، حتى في تناوله للموضوعات الدينية . وهكذا عاد الفنان الأوربي إلى محاكاة مخلوقات الأرض وصابر من اجل الوصول إلى التقارب المنشود ليصل لصيغ شكلية حياتية تحمل طابع " الديمومة " يمكن تقبلها عبر العصور و من مختلف الثقافات .

و قدم أعمالا متقنة مدروسة البناء ، فقد اهتم بالمنظور الهندسي و النسب الذهبية ، فأنتج أعمالا متحفية خالدة ، كما أستبدل ألوان التمبرا بالألوان الزيتية التي تحتفظ برونقها لسنين عدة ،و حمل أعمالة بقيم انفعالية للحدث و سجله بكل دقة و مهارة أكسبته طابع الديمومة و القبول ، فالعمل الفني هنا يثير حالة انفعالية في المتلقي كلما شاهده تجعله يستجيب للمثيرات الجمالية رغم زوال الحدث منذ مئات السنوات ، ليبقى أثره ، كلوحة " رفائيل " شكل (٣) التي خلد فيها لحظة سقوط المسيح في طريقه للصلب ، فأظهر الفنان مشاعر جياشة ، ظهرت في حركات الأجسام و تعبيرات الوجوه ، و الألوان الدافئة المتوهجة التي تعكس حالة اشتعال الأحداث و دراميتها ، كذلك اظهر قدره عالية على تجسيم الأشكال ، بحيث تشعر بملامس الأشياء ، و المختلف في هذا العمل عن أعمال رفائيل هو استخدام الظل والنور بشكل أكثر نعومة و حيوية ، كما وضع تكوينا محكما ، يظهر في أعماقه الشخصيات صغيرة الحجم جدا ، وهو أراد بذلك التعبير عن طول الطريق الذي سلكه المسيح والمشقة التي مر بها.

فهو عمل فني مدروس يخاطب عقل ووجدان المتلقي و يستدعي حالة انفعالية روحانية كانت قد زالت بمرور الزمن و لكن الفنان عندما يختار اللحظة الأمثل للحدث و يعبر عنها بتلك الدقة و الحيوية و العمق فهو قد خلدها لسنوات رغم زوالها من الوجود ، فكل مرة نشاهد هذا العمل لا يمكن أن لا نتعاطف مع حالة المسيح .

و أن كنا حكمنا على الفن الإغريقي بأنه زائل بعد ألف سنه علي الأقل ، فأن الحكم علي فنون عصر النهضة بالديمومة مستمر ولن يأتي له وقت للزوال ، حيث أن الفلسفة التي يستند عليها كلا الفنين تختلف ، فالفن الإغريقي أرتكز على الجمال البشري الزائل و هي قضية شكلية بحته – اختلفت طرق معالجتها من حقبة لأخرى – دون الارتكاز على موضوع فلسفي أبدي أو حدث تاريخي محفوظ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للجميع كفنون عصر النهضة ، فقصص المسيح و المسيحية كديانة سماوية هي من محفوظات البشرية و التي لا يمكن أن تزول ، كما أن البناء الفني المدروس و الحالة الانفعالية و مهارة التصوير جعلت من تلك الأعمال خريطة للفن التشكيلي العالمي عبر العصور ، بينما الجمال كموضوع بطبيعته متغير و نسبي من مجتمع لأخر و من حقبة زمنية لآخري ، كذلك فكرة تجسيد الألهه التي اندثرت بوجود الديانات السماوية ، فتلك الفنون مثلت زوال الإلزام و دوام الالتزام ، فقد زال ألالتزام الكنسي بالقواعد الصارمة و دام التزام الفنان بقدسية التعبير الديني و التزام المتلقي بتقبله و احترامه .

شكل (٣)

رفائيل Raphael–المسيح يسقط في طريقه لصخرة الجمجمة – (١٥١٤ – ١٥١٦) – ٢٢٩ x ٣١٨ سم – زيت على توال – متحف ديل برادو – مدريد

(AmeSea Database – Ae –Jan-April 2016- 00121)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- زوال اللحظة الضوئية عند الانطباعيين (التأثيرين) :

نشأت الانطباعية في أحضان الفن الواقعي الفرنسي ، حيث كان المعرض الأول للانطباعية عام ١٨٧٣ ، " و الطابع المميز للانطباعية يتحدد في تثبيت اللحظة الضوئية على الدوام " [١] ، فقد أهتم الانطباعيون بتسجيل التغيير الطارئ على الأشياء بتغيير الضوء الساقط عليها لذا فإن " الزوال " هو محور اهتمام الانطباعيين ، فإذا أمعنا النظر في لون الأعشاب مثلا عن قرب أدركناها خضراء ، أما إذا رأيناها عن بعد صارت زرقاء ، و قد درس الانطباعيين هذه الاختلافات للتوصل إلى الانطباع الذي تتركه الصورة في وجدان المشاهد .

إن الطريقة الجديدة لرؤية الموضوع في الفن الانطباعي اتخذت من الضوء عاملا جوهريا في تشكيل العملية الإبداعية " فانصب الاهتمام الجمالي نحو تجسيد المؤقت " [٢]، فالفنان سجل الزائل ليصل للديمومة و يحتفظ بالجمال اللحظي للأبد من خلال لوحاته التي تعيش لمئات السنوات ، و كأنه يريد أن يشاهد المتلقي عبر العصور لحظات الجمال الزائلة التي التقطتها عيناه و يتشارك اللذة الجمالية معه ، وتتجسد معظم خصائص الانطباعية في أعمال المصور " كلود مونيه Claude Monet " ، فقد كان متمكنا من مهارة تسجيل التغيرات السريعة للضوء ، فصور بهذه الطريقة أعمالا رسم فيها الموضوع الواحد في عدة لوحات ، في ساعات مختلفة في النهار ، وعمل على دراسة تأثير التحولات الضوئية على ألوان المواد فأعطى الأهمية لدور انعكاسات و انكسارات الضوء ، كلوحته " كاتدرائية روان وقت شروق الشمس " – " شكل (٤) –الموجودة بمتحف اللوفر و التي رسمت ضمن سلسلة من اللوحات تعرف بنفس الاسم في الأعوام ما بين (١٨٩٢– ١٨٩٤) يقرب عددها من للعشرين تنويعا للمنظر ذاته ، ليديم لنا عشرون لحظة زائلة يحمل كل منها جمالها الخاص ، فقد أراد أن يقدم لنا كشفا فنيا

---

[١] محسن عطية - اتجاهات في الفن الحديث – عالم الكتب – مصر – ٢٠٠٦ – ص. ٦٦

[٢] محسن محمد عطية – مفاهيم في الفن و الجمال – عالم الكتب – مصر – ٢٠٠٥ – ص. ٨

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

عن الكيفية التي بها يمكن رؤية الموضوع الواحد ، من خلال حساسية فنية متميزة بحيث " ضحى عندها بمادة الأشياء و تماسكها و وزنها و اضمحلت واجهة الكاتدرائية إلى غلال لونية بارعة " [١] .

كان هدف الفنان الانطباعي هو التعبير عن الجمال الزائل العابر ، جمال اللحظة الذي يتحول في لحظة تالية لجمال أخر ، فقد حاول الفنان اقتناص اللحظة الزائلة و حبسها في عمل فني دائم الوجود ، فعلاقة الطبيعة بالفن " هي علاقة العالم الطبيعي الزائل بذلك العالم الإنساني الذي يلتمس الخلود عبر الصور المخلوقة " [٢].

شكل (٤)

كلود مونيه – Claude Monet – كاتدرائية روان – (١٨٩٢– ١٨٩٤) – متحف ويلز– كارديف

٥ –زوال القيمة الجمالية في فن الدادئية :

انطلقت حركة " الدادئية " أثناء الحرب العالمية الأولى، كنوع من معاداة للحرب بعيداً عن المجال السياسي، وإنما من خلال محاربة الفن السائد ، فهي حركة وليدة موقف انفعالي مؤقت تجاه ظروف

---

[١] جي .اي . مولر ، فرانك ايلجر – مائة عام من الرسم الحديث – Universe Books - ١٩٨٥ - ص. ٢٨

[٢] زكريا أبراهيم – مشكلة الفن - مكتبة مصر – مصر – ص . ٦٢ .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

محيطة و تبنت الحركة شعار: "لا للفن". وكانت سياستها: محاربة الفن بالفن. كل ما كان يعتبر فنا، كانت " الدادئية " تصنع عكسه. فقد أرادت تجاهل علم الجمال و زوال القيمة الجمالية لكل شئ خلال فترة الحرب ، إذ أنها رأت " أن الفن هو ما يوصل رسالة ، أو يحمل رمزا ، و لم ترد الحركة أن تفسر الفن، بل اعتقدت أن على المتلقي أن يفهمه كيفما أراد، إذ أن الفن يجب أن يخاطب الأحاسيس. رغم أن الحركة كانت تسعى لتحطيم علم الجمال ، وتخريب كل أشكال الفن التقليدي ، إلا أنها كان لها أثر كبير على نشأة الفن الحديث " [١] ، و قد استخدمت الفن في تلك الفترة للثورة على الأوضاع السياسية كأستخدام مؤقت يختلف يحمل رسائل قبيحة غير الجمال الفني التقليدي في الاوضاع المستقرة العادية .

لقد أعتبر فنانو الحركة الدادئية من قبل مؤرخي الفن، "أنهم ظاهرة انفجرت في وجه الأزمات السياسة، والاقتصادية، والأخلاقية، واعتبروها المنقذ الذي سيبدد كل هذه المشاكل". لقد كان العقل والمنطق هو الذي جر الناس إلى أهوال الحرب، وكان الشكل الوحيد للخلاص هو رفض كل ما هو تقليدي وتبني منطق الفوضى والرفض. وذلك ما اعتبرته الحركة هو المنطق الصحيح إذ أن في ذاك العصر لا يمكن تقبل القيم الموجودة التي تسببت بهذا الدمار ، فقال الداديين في بيانهم الأول عام ١٩١٦ : "لقد فقدنا الثقة في ثقافتنا، كل شيء يجب أن يهدم، سنبدأ من جديد بعد أن نمحى كل شيء " [٢] ، و الدادية كحركة فنية عبرت عن حالة غضب و سخط بسبب الظروف السياسية و ظروف الحرب و زالت بزوال تلك المشكلات و استقرار الأوضاع ، فكانت بمثابة حركة ثورية مؤقتة عبرت عن قيم انفعالية خاصة بوقت ما.

وهدف الداديون إلى مهاجمة القيم ، وتخريب الجماليات ، ومعاداة الذين يحترمون الفن والجمال والإبداع .. كما يهدفون إلى السخرية من الفن ذاته ، وعرض كل ما هو قبيح وغريب وعابث وغير معقول ، وتقول فلسفتهم : لابد من خلق فن يناقض الفن ذاته ، و أطلقوا على فنهم هذا اسم "ضد الفن"

---

[1] https://ar.wikipedia.org

[2] https://ar.wikipedia.org

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

وأصبح شعارهم : كل شي يساوي لا شئ .. اذا : فلا شئ هو كل شئ ، و كان أخر معارض هذه الحركة عام ١٩٢٢ فقد زالت بزوال المثير الأنفعالي لها و لكنها حفظت لنا حالة غضب شعبي نستدعيها تلقائيا لا شعوريا في الظروف المشابهة .

و العمل الفني شكل (٥) للفنانة الألمانية " هانا هوخ Hannah Höch " عبرت من خلاله عن الفوضى السياسية و الصراع بين رجال السياسة الألمان أعلى يمين العمل و التي أطلقت عليهم " anti–dada " أو " ضد الدادية " في مقابل " الدادين " أسفل يمين العمل ومنهم " هانا هوخ " و رائد الدادية " راؤول هاوزمان RAOUL HAUSMANN " ، من خلال استخدامها لصور جاهزة و مقصوصة من المجلات و الجرائد اليومية و تجميعها بطريقة الفوتومونتاج و قد أضافت بعض العبارات الساخرة و سخرت من بعض الشخصيات العامة من خلال تركيب صورة وجههم على أجسام راقصة أو جسم طفل بدين .

فهي حركة فنية لا تطمح للبقاء سواء على المستوي المادي أو المستوي المفاهيمي ، فهي زائلة المعني بعد زوال سببها أو الحدث الذي ثارت عليه ، مثلها كأغاني الحروب التي تفقد معناها و أهميتها و قابلية استيعابها و الاستمتاع بها بعد انتهاء الحرب ، و لكن قد نستدعيها من وعينا الجمعي مع نشوب حالة مشابهه كصورة محفوظة لمعني الحرب في أذهاننا ، فهي دائمة بشكل مختلف ، دوام الذكريات التاريخية التي لا يمكن استرجاعها و لكنها خالدة في تاريخنا و وعينا الجمعي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

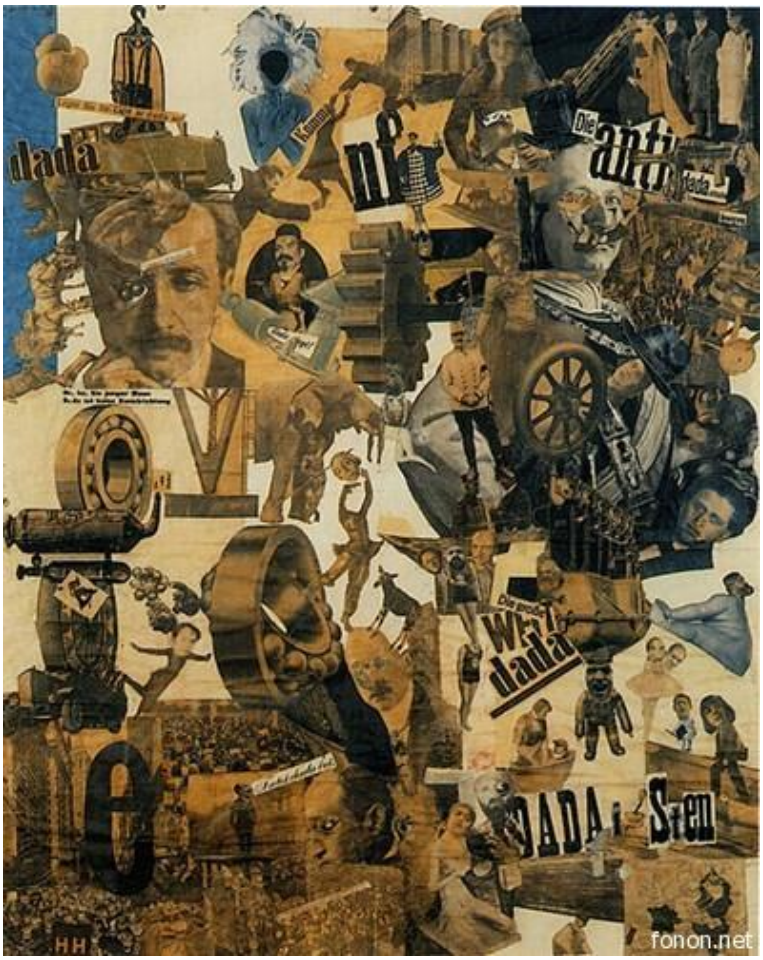

شكل (٥)

Hannah Höch, 1919, Incision With The Dada Kitchen Knife Through Germany – collage of pasted papers, 90 x 144 cm, Staatliche Museen, Berlin

ولما كان التطور الفني في جميع مراحل تاريخ الفن يتطلب إيجاد معايير لتقدير و فهم طبيعة المرحلة الفلسفية و الفكرية ، كما أن وجود أطار ثقافي و فلسفي يرجع المعنى داخل العمل الفني لدلاله موجودة فعليا في العمل يمكن التحقق منها من خلال طبيعة المجتمع يساعد في تفسير و قراءة المرحلة الفنية في هذا المجتمع ، فترى الدراسة الحالية أن تقدير ثنائية الزوال و الديمومة كسمة من سمات الفن عبر التاريخ يشكل معيارا جديدا يمكن أن ينطبق على معظم مراحل الفن ، ذلك التقدير الذي يتيح للمتلقي رؤية مختلفة للأعمال الفنية ، تنهى معتقدات راسخة عن بعض الفنون و تظهر ثنائية تناقضيه لمفهومين متلازمين ، فلا يمكن أن تتحقق الديمومة في عمل فني ما بنسبة ١٠٠ % و كذلك الزوال ،

(AmeSea Database – Ae –Jan-April 2016- 00121)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهما موجودان معا بنسب متفاوتة ، اعتمادا علي مكونات متعددة لكل قيمة منهما ، فلا يمكن أن يحقق أي عمل فني على مر التاريخ الديمومة الكاملة على كافة مستويات القيم و لا الزوال الدائم .

وما يربط بين الاتجاهات التي تم عرضها من خلال مفهومي الزوال والديمومة هو وجود تلك الثنائية معا بأشكال مختلفة ، تجعلنا نكتشف خصائص تلك الثنائية و الوقوف على مفهوم للزوال و الديمومة في الفن من خلال دراسة تلك الاتجاهات و تحليلها ، وبالتالي يمكن تطبيق تلك المفاهيم و اختبارها في اتجاهات فنية أخرى ، فنجد أنه من خلال كل اتجاه توصلنا إلى :

١- من خلال دراسة الفن الفرعوني : مفهوم الزوال و الديمومة تمثل في دوام الوجود المادي و زوال القيمة التي تبناها هذا الوجود .

٢- من خلال دراسة الفن الإغريقي : مفهوم الزوال و الديمومة تمثل في دوام التفكير الإنساني على حساب زوال الوجود المادي .

٣- من خلال دراسة فنون عصر النهضة : مفهوم الزوال و الديمومة تمثل في دوام القيمة الانفعالية و مخاطبة العقل رغم زوال الحدث ، أو زوال الإلزام و دوام الالتزام .

٤- من خلال دراسة الأنطباعيه : مفهوم الزوال و الديمومة تمثل في دوام الجمال الفني و الاحتفاظ به و زوال اللحظة الجمالية العابرة .

٥- من خلال دراسة الدادية : مفهوم الزوال و الديمومة تمثل في دوام رد الفعل و تسجيله و أمكانية الرجوع اليه في مواقف مشابهه و زوال المثير .

و نستخلص أيضا خصائص تلك الثنائية حيث كونها :

١- ثنائية قابلة للتطبيق كمعيار للتقدير الجمالي في مختلف العصور الفنية .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٢- ثنائية تبحث في الجوانب الفلسفية و الجمالية و الشكلية و التقنية لكل عمل فني لكشف جوانب زوالها و ديمومتها .

٣- ثنائية يتفاوت أحد شقيها في نسبة تواجده على حساب الشق الأخر تبعا للمتغيرات المدروسة .

٤- ثنائية تكشف بعدا جديدا لتذوق الأعمال الفنية من خلال كشفها عن مجهودات الفنان في خلق التوازن بين شقيها انطلاقا من معتقداته و فلسفته ، بحيث ينحي قيما ما علي حساب قيم أخري لتحقيق تلك الفلسفة الخاصة في معادلة فنية .

و ان كان هناك مع يجمع تلك الاتجاهات الفنية معا فهو كونها وسيلة التعبير الإنسانية الممتدة عبر العصور و التي تعكس تناقضات النفس البشرية و قد تم اختيار مراحل فنية ممتدة على مدار تاريخ الفن للتأكيد على وجود تلك الثنائية المتناقضة عبر التاريخ ، و هذا ما يجعل ثنائية الزوال و الديمومة معيارا للفنون و مدخلا لتحليلها و نقدها من أجل تذوقها فنيا و الاستمتاع بجمالياتها و طرق تطبيقاها في كل عصر فني .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المراجع :

المراجع العربية :

١. جي .اي . مولر ، فرانك ايلجر – مائة عام من الرسم الحديث – Universe Books - ١٩٨٥

٢. محسن محمد عطية – القيم الجمالية في الفنون التشكيلية – دار الفكر العربي– مصر– ٢٠١٠ .

٣. محسن محمد عطية – الفنون والإنسان – دار الفكر العربي – مصر– ٢٠٠٣ .

٤. [١] محسن عطية - اتجاهات في الفن الحديث – عالم الكتب – مصر – ٢٠٠٦ .

٥. [١] محسن محمد عطية – مفاهيم في الفن و الجمال – عالم الكتب – مصر – ٢٠٠٥ .

٦. موسى الخميسي : جيوتو سيد الفراغ فاتح عصر النهضة – مجلة التشكيلي – الكويت - ٢٠٠٦

٧. نهلة فيصل الأحمد - جريدة الرياض – العدد ١٢٩٩١ – ٢٠٠٤/١/١٥ – السعودية /http://www.alriyadh.com

٨. زكريا أبراهيم – مشكلة الفن - مكتبة مصر – مصر .

المراجع الأجنبية :

1. Ephemeros, Henry George Liddell, Robert Scott, "A Greek-English Lexicon", at Perseus … http://www.perseus.tufts.edu
2. Will Straw, Alexandra Boutros, Circulation and the City: Essays on Urban Culture (2010), p. 148.

المواقع الإلكترونية :

1- http://ar.wikipedia.org

2- http://www.tate.org.uk

3- https://en.wikipedia.org

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com